PSYCHOLOGY AND EDUCATION (2024) 61(9): 680-694
ISSN:1553-6939

Arab feminist autobiography between self-realization and the centrality of the other (on the bridge between life and death by Bint al-Shati as an example)

Fateh Guessoum[1], Allaoua Nasri[2]

[1]Larbi University of Tebessa, Laboratory of humanistic and literary studies (Algeria).

[2]Larbi University of Tebessa, Laboratory of humanistic and literary studies (Algeria).

The E-mail Author's: fateh.guessoum@univ-tebessa.dz[1], Allaoua.nasri@univ-tebessa.dz[2]

Received: 03/2024 **Published: 09/2024**

Abstract:

The emergence of autobiography as a fully-fledged literary genre dates back to the modern era. It allows the writer to convey the details and their facts, which is what the woman invested in portraying the conflict existing between her and the male other, freeing herself from the obsessions of realistic writing that she used to frequent. This is what we aim for through our research paper titled: Arab feminist autobiography between the realization of the ego and the centrality of the other (on the bridge between life and death by Bint al-Shati as an example), which depicted for us the male oppression from which she suffered, and the female cultural contribution to society. By embodying the role model woman and defining her identity and role in the civilizational movement according to an Islamic perspective.

Keywords: Biography, women, the centrality of the other, male oppression, an Islamic perspective.

أثر العتبات النَّصية في إبراز جدلية تحقيق الأنا ومركزية الأخر في السّيرة الذاتية النسوية (على الجسر بين الحياة والموت لبنت الشّاطئ نموذجا)

فاتح قسوم[1]، علاوة ناصري[2]

[1]جامعة العربي تبسي تبسة، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية (الجزائر).

[2]جامعة العربي تبسي تبسة، مخبر الدراسات الإنسانية والأدبية (الجزائر).

ملخص: يعود ظهور السيرة الذاتية بوصفها جنسا أدبيا متكامل الأركان إلى العصر الحديث؛ يتيح لكاتبه نقل تفصلاتها ووقائعها، وهو ما حاولت المرأة استثماره في تصوير الصراع القائم بينها وبين الأخر الذكوري متخلصة من هواجس الكتابة الواقعية التي كانت تراودها؛ وهذا ما نرومه من خلال ورقتنا البحثية الموسومة بـ: أثر العتبات النَّصية في إبراز جدلية تحقيق الأنا ومركزية الأخر في السّيرة الذاتية النسوية (على الجسر بين الحياة والموت لبنت الشّاطئ نموذجا) التي صورت لنا الاضطهاد الذكوري الذي عانت ويلاته، والإسهام الحضاري الأنثوي في المجتمع؛ من طريق تجسيد المرأة القدوة وتحديد ماهيتها ودورها في الركب الحضاري وفق منظور إسلامي.

الكلمات المفتاحية: السيرة الذاتية، المرأة، مركزية الآخر، الاضطهاد الذكوري، منظور إسلامي.

مقدّمة:

تعد الكتابات السيرية من الكتابات الضاربة بجذورها في عمق التاريخ، غير أنَّها لم ترق إلى مصاف الأجناس الأدبية إلاَّ في العصر الحديث؛ نظرا لظهور أجناس أدبية تشاركها ميزات كثيرة تكاد تتماهى فيما بينها (الأجناس) وهو ما اضطر الدارسين إلى وضع حدود فاصلة بينها، مؤكدين احتكام السيرة إلى الواقع وهذا ما جُسد بأقلام ذكورية وأنثوية؛ بغية نقل خبراتهم الحياتية وتخليد أسمائهم، وتعرية إكراهات الواقع الاجتماعي، والكشف عن طبيعة العلاقة بالأخر الذكوري بالنسبة للسيرة الذاتية النسوية؛ وهو ما نقلته بنت الشاطئ من خلال سيرتها (على الجسر بين الحياة والموت) وهو ما يدفعنا إلى التساؤل: ما العلاقة بين العتبات النصية والمتن السير ذاتي لبنت الشاطئ؟ وما أثر تلاحم هذه المحاور في الكشف عن حياة الكاتبة؟

1 . مفهوم أدب السيرة الذاتية ونشأتها:

1 . 1 . السيرة لغة

وردت كلمة السيرة في الذكر الحكيم في قوله تعالى: ﴿قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ٢١﴾ [طه: 21] ومعناها خذ العصا، ولا تخف من انقلابها حية، سنعيدها إذا أخذتها إلى الاولى.

عُرّفت السّيرة في المعجمات العربية تعريفات كثيرة نذكر منها ما ورد في معجم القاموس المحيط "سارَ يَسيرُ سَيْراً ومَسيراً وتَسْياراً. يقال: بارك الله لك في مَسيرِكَ، أي سَيْرِكَ. وهو شاذٌّ، لأنَّ قياس المصدر من فَعَلَ يَفْعَلُ مَفْعَلٌ بالفتح. وسارَتِ الدابة وسارَها صاحبُها، يتعدَّى ولا يتعدى. قال الهُذَليّ:

فلا تَجْزَعَنْ مِنْ سُنَّةٍ أَنْتَ سِرْتَها فأوَّلَ راضي سُنَّةٍ مَنْ يَسيرُها

يقول: أنت جعلتها سائِرَةً في الناس. وقولهم في المثل: سِرْ عنك، أي تَغافَلْ واحتملْ. وفيه إضمارٌ، كأنه قال: سِرْ ودَعْ عنك المِراءَ والشكَّ. والسيرَةُ: الطريقةُ. يقال: سارَ بهم سِيرَةً حَسَنَةً. والسيرَةُ أيضاً: المِيرَةُ. والاسْتِيارُ: الامتِيارُ. والتَسْيارُ: تَفْعالٌ من السَيْرِ. وسايَرَهُ، أي جاراه فتَسايَرا. وبينهما مَسِيرَةُ يوم"[1].

وجاء في مختار الصحاح "... أيضا يقال بارك الله في مسيرك أي في سَيْرِكَ و سارَتْ الدابة و سارَها صاحبها يتعدى ويلزم و السِّيرةُ الطريقة يقال سارَ بهم سيرة حسنة و التَّسْيارُ بالفتح تفعال من السير و سايَرَهُ أي جاراه فَتَسايَرا وبينهما مَسِيرةُ يوم و سَيَّرَهُ من بلده أخرجه وأجلاه و السَّيَّارةُ القافلة و السَّيْرُ الذي يقد من الجلد وجمعه سُيُورٌ و سائِرُ الناس جميعهم و سَارُ الشيء لغة في سائره"[2].

[1] _ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987، مادة سير، ص827.

ويعرفها ابن منظور في لسان العرب "... السِّيرة: السّنة والطريقة يُقَال سار بهم سيرة حسنة، والسّيرة الهيئة"[1].

انطلاقًا ممَّا سبق نقول إنَّ: للسيرة معاني متعددة تتغير بتغير السياقات واختلافها؛ منها الطريقة والهيئة، وهو ما يعُنى به بحثنا.

2.1 . السيرة اصطلاحًا

أ. عند الغرب

يُعدُّ مصطلح السّيرة الذاتية من المصطلحات الزئبقية التي يصعب تحديد مفهومها؛ نظرا لجدته وتداخله بأجناس أدبية أخرى، وتباين المفهومات من دارس لآخر، واختلافها بين الغرب والعرب، ولعل من بواكر الأقلام التي أشارت إلى هذا الجنس وحاولت تشريحه في مصطلحات محدَّدة غربية ومع ذلك فهي تصرح بصعوبة الإلمام بشتى جوانب المصطلح؛ حيث يرى جورج ماي "أنَّ السيرة الذاتية مفهوم له من حداثة العهد حظ أوفر بكثير، ومن ثم فإنّه يشمل مجموعة من النصوص لم تتمكن بعد سنة في القراءة والتفسير عريقة من توحيدها أو المجانسة بينها بشكل تام"[2]؛ فجدة الجنس الادبي وتداخله مع أجناس أدبية أخرى من الأسباب التي أسهمت في صعوبة تحديد مفهومه الدقيق، وفي هذا الشأن يقول حسين المناصرة: "لا بدَّ لي من أن أشير إلى أنَّ ما أعتبره هنا سيرة ذاتية روائية، يمكن أن يراه آخرون رواية أو سيرة ذاتية، وقد يراه بعضهم ذاكرة سردية، أو قصَصًا قصيرة، أو نصُوصًا، أو ذكريات ومذكرات، أو غير ذلك. وبكل تأكيد فإنَّ حيوية الاختلاف في المنظور النقدي بين قارئ وآخر، في مقاربة أي خطاب سردي هجيني، سواء أكان رواية أم سيرة ذاتية أم رواية سيرية أم سيرة روائية ... تعد مسألة مشروعة وحيوية وهادفة، مادامت مبررة ومنطقية وممنهجة"[3]، هذا ما يدل على تماهي هذا الجنس (السيرة الذاتية) وانصهارها في الأجناس الأدبية التي تضارعه وتشاركه بعض الخصائص؛ وهذا ما يجعل الاختلاف مشروعا ومسوغا بضوابط منهجية منطقية .

يرى بول زومبتور بأن السيرة الذاتية ينبغي أن تقوم على عنصرين مركزيين؛ أولهما أنا وسرد معطى غير تخييلي. يشكل العنصران خاصيتين مشتركتين بين تعريفات كثيرة لفن السيرة وهما:

---

[2] _ الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420/ 1999، ج1، ص159

[1] _ ابن منظور، لسان العرب، تح: د م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003، مج4، مادة سير، ص451.

[2] _ جورج ماي، السيرة الذاتية، تر: عبد الله صولة، محمد القاضي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2017، ص23.

[3] _ حسين المناصرة، روائية السيرة الذاتية قراءة في نماذج سيرية سعودية، علامات في النقد، السيرة الذاتية في الأدب العربي السعودي، ملتقى قراءة النص الثامن، شعبان 1429/ أغسطس 2008، مج17، ج66، ص343.

ضمير المتكلم أنا: حيث يرد الضمير أنا معبرًا عن الكاتب الواقعي والشخصية الروائية والسارد بوصفه حضورًا لغويًا في الوقت ذات[1]؛ وهذا ما يتجلى من خلال المفهوم الذي قدّمه جان ستاروبينسكي قائلا: "السّيرة الذاتية هي سيرة شخص يكتبها بنفسه"[2].

المحكي الواقعي: أي إنَّ الوقائع المروية يجب أن تكون واقعية، ويمكن التأكد منها عبر ذكر المعينات والمحددات والمؤشرات الزمكانية، والأحداث الخارجية سواء أكانت تاريخية أو اجتماعية، وأسماء الأعلام[3].

من العنصرين الآنف ذكرهما نقول: إنّ السيرة الذاتية تشارك الرواية في عنصر ضمير المتكلم، بينما تختلف عنها في المحكي الذي يستند في السيرة الذاتية إلى الواقع ويحتكم إليه، ويتخذه مرجعية أساسة لبناء الاحداث والوقائع المراد سردها وهذا ما يميزه عن الرواية؛ حيث إنَّ الرواية تجنح إلى الخيال في سرد الوقائع وإن كانت حقيقية، غير انَّ هذا التباين لا يمنحنا شرعية نفي التداخلات القائمة بين السيرة الذاتية ومختلف الأجناس الادبية التي تشاركها في بعض العناصر من نحو الأحداث، الزمكان، والشخصيات، وهو ما ركز عليه فيليب لوجون في توضيح حد السيرة الذاتية إذ يقول: "حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي هن وجوده الخاص، وذلك عندما يركز على حياته الفردية، وعلى تاريخ شخصيته"[4].

ب. عند العرب

ظلّت السير في العالم الإسلامي مقتصرة على مجموع الأخبار المأثورة أو المشاهدات؛ خالية من وحدة البناء، ولا الاحساس بالتطور الزمني، ولا تتبع مراحل نمو الشخصية المترجمة وتغيرها، وهكذا بقيت دون شكل تام، مفتقرة إلى المحتوى المعرفي الكامل، إلى غاية العصر الحديث حيث شهدت بعض التغييرات في القاعدة والطريقة؛ بفعل تأثير الثقافة الغربية[5].

يعرف إحسان عبّاس أنّها: تلك المرحلة التي يمر بها الفرد خلال مسار حياته؛ فإذا بلغت هذه التجربة حد الخبرة مخلفة انطباعًا في فكر صاحبها يدفعه إلى الإحساس بضرورة الإفصاح عن هذا الشعور[6].

[1] _ ينظر: محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1، 2007، ص14.

[2] _ جورج ماي، السيرة الذاتية، تر: عبد الله صولة، محمد القاضي، رؤية للنشر والتوزيع، ص24.

[3] _ ينظر: محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، ص14.

[4] _ فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حيلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994، ص8.

[5] _ ينظر: إحسان عبّاس، فن السيرة، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1996، ص35

[6] _ ينظر: المرجع نفسه، ص95/ 100.

يركز إحسان عبّاس في تقديم مفهومه للسيرة الذاتية على الخبرة الحياتية للفرد شريط أن تكون حالمة لخبرات تتسم بالنضج والقلق الفني المصاحب لها، وتستحق تقديمها للآخرين بغية الاستفادة منها، أمّا عبد العزيز شرف فيركز على الهدف المتوخى من كتابة السيرة الذاتية والمتمثل في نقل وقائع حياة المؤلف وأحداثها إلى الآخر (القارئ) وفي هذا الصدد يقول: إنَّ السيرة الذاتية هي "تعبير عن أهم مظاهر الحياة الشخصية لكاتبها"[1]، ويضيف قائلاً إنَّها: ترجمة حرفية لحياة الإنسان بطريقته الخاصة[2].

2 . تجليات المرأة في الكتابة السيرية

عرفت الكتابات النسوية ازدهارًا في مجال الأدب خصوصًا في السنوات الأخيرة من القرن 21؛ وذلك نتيجة التغيرات الفكرية التي أثرت في المرأة نتيجة انفتاحها على العالم الخارجي، ونهلها من الثقافة الغربية وهذا ما جعلها أكثر جرأة في تعرية مراحل حياتها وإماطة اللّثام عنها؛ معلنة عن رفع تحديها لسلطة المجتمع الذكوري ومركزيته، ورغبتها الجامحة في فك القيود المفروضة عليها؛ وهذا ما جُسِّدَ في الكثير من الأجناس الأدبية منها الرواية، والقصة، والرواية السير الذاتية .

قد كان لإكراهات المجتمع وأعرافه إسهام كبير في إنتاج أشكال أدبية تتيح للمرأة التعبير عن نفسها، وخرق الطابوهات معتمدة عنصر التخييل؛ وهو ما يتجلَّى في الرواية والسيرة الرّوائية باعتبارهما جنسين أدبيين يتيحان للمرأة الكشف عن ذاتها، والإخبار عن رغباتها متسترة بشخصيات تخييلية وهمية؛ رغبة في الخلاص من تهجم المجتمع واضطهاده؛ وهكذا يتجلى تمركز الذات في الرواية النسوية الذي جعل المتن الروائي النسائي يختلف عن الأعمال الروائية الذكورية. من الأسباب التي أسهمت في تميز السير ذاتية النسائية عن نظيرتها الذكورية سعي المرأة للتحرر والهروب من المحظور باختراقها للتقاليد التي قيدتها؛ وذلك من طريق توظيف جزء من سيرتها بشكل تخييلي مستفيدة من أهم عناصر الخطاب الروائي[3].

إنّ هروب المرأة من سلطة المجتمع بوساطة التخييل أمر نسبي لا يعني خلو الكتابات النسوية من السير الذاتية؛ حيث إنَّها تعتمد على الكشف المباشر عن ذاتها من خلال اعتمادها على تقصي الأحداث البارزة في حياتها وسردها معتمدة على الذاكرة، وهو ما تعكسه عديد السير الذاتية النسوية من نحو: فدوى طوقان (رحلة جبلية) عائشة عبد الرحمان بنت الشاطئ (على الجسر) وهي محور دراستنا في الجانب التطبيقي من خلال دراسة بعض جوانبها وتحليلها وفق ما يأتي:

---

[1] _ عبد العزيز شرف، أدب السّيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1992، ص18.

[2] _ ينظر: المرجع نفسه، ص27.

[3] _ ينظر: فريال تواتي، حفيظة سوالمية، الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية (خواطر امرأة لا تعرف العشق) لأسماء معيكل أنموذجا، مجلة إشكالات في اللّغة والآدب، المركز الجامعي تامنغست الجزائر، مج:9، ع5، 2020، ص492.

2 . 1 . العتبات النصية

أولا . العنوان: يشكل العنوان المحطة الرئيسة للأعمال الأدبية وركيزة فهمها؛ حيث إنّه يعد المنهل الذي تتشظى من خلاله باقي عناصر العمل الأدبي، والمفتاح الذي يسهم في فك شفرات عوالمه وخباياه؛ حتى يتسنى للقارئ تحصيل معرفة أولية لمحتوى النص ومضمونه، ويسهل تحديد طبيعته وتصنيفه إلى الرواية أو السيرة الذاتية[1].

يجد متصفح كتاب بنت الشاطئ أنَّ العنوان على الجسر بين الحياة والموت يتوسط صفحة الغلاف؛ وقد كُتبت عبارة على الجسر بلون أحمر داكن محاط بلون أبيض، في حين كتبت عبارة بين الحياة والموت بخط أسود ثخين، وهو ما يقودنا إلى الحديث عن

دلالة الألوان وتوظيفها

يمكن الحديث عن توظيف الألوان المستعملة في كتابة العنوان في خضم مستويين؛ أولهما مرتبط بالإيقاع البصري وآثره في إثارة لفت انتباه المتلقي

أ. الإيقاع البصري: يتفرد اللون الأحمر عن سائر الألوان في استخدامه بكثرة للتحذير والإنذار؛ نظرا لما يخلفه من آثار بصرية تتجلى في رفع نسبة التركيز ولفت الانتباه، إذ يسهم في تفاعل العقل واستجابته للمشهد المرئي بنسبة تفوق بقية الألوان[2] ؛ وهذا ما اشتغلت هـ الكاتبة (بنت الشاطئ) على تجسيده في عنونة سيرتها الذاتية، وسعت إلى خلق انطباع في ذات القارئ يوحي باتساع اللون الأحمر وامتداده بوساطة إحاطته باللون الأبيض[3].

أمَّا بالنسبة لتوظيفها للون الأسود في عبارة بين الحياة والموت بخط ثاخن نعوزه إلى رغبة الكاتبة في استدعاء القارئ وجذبه ليقاسمها حمولة هذه العبارة، ومن جهة أخرى يحيلنا هذا اللون إلى محطة من محطات حياة الكاتبة (الموت وضيق الأفق.)

ب. الأبعاد النفسية للألوان

[1] _ ينظر: سامية بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، ص96، وحليمة بولحية، تمظهرات السيرة في الرواية الجزائري (طيور في الظهيرة، البزاة لمرزاق بقطاش نموذجا)، مجلة مقاليد، العدد7، ديسمبر 2014، ص108

[2]_Hailey van Braam, Red Color Psychology, Symbolism and Meaning "Red is one of the fascinating colors that uncover various symbolisms, meanings, and associations. It is usually linked with our strong emotions, such as love, desire, and anger. From red hair to the red carpet in events, it is a color that's regarded as a head-turner due to its warm, bright hues. Red is a primary color. It represents passion, warmth, and sexuality, but it is also known as a color that stands for danger, violence, and aggression. Red sits between violet and orange on the color wheel. Colors that are similar to red are rose red and red-orange. Thehex code for the color red is", https://www.colorpsychology.org/red/, 3-7-2024.

[3] _ ينظر: تسنيم معابرة، https://mawdoo3.com، بتاريخ: 2024/7/3.

البعد النفسي لارتباط الأحمر بالأبيض في العنوان: لا ريب أنّ استعمال اللونين لم يكن اعتباطيًا بل إنّه يعكس حالة نفسية ومشاعر كامنة متناقضة ومتضاربة اختلجت ذات الكاتبة؛ فقد أثبتت الدراسات السيكولوجية أنَّ الأحمر يدل على المشاعر القوية والحب[1]؛ وهو ما تكنه الكاتبة لزوجها، وحاولت نقل عظمة هذه المشاعر وإخبار المتلقي عنها من خلال إحاطة اللون الأحمر بالأبيض؛ كونه يبعث في النفس الشعور باتساع الأفق وامتداده (امتداد حب الكاتبة للزوج وعظمته.

بالعودة إلى المعتقدات المصرية نجد أنَّ اللون الأحمر يرمز للحظ الجميل والسعادة يرتدينه العرائس في زفافهن بعده طقسًا من طقوس الزواج[2]؛ وبما أنّ الكاتبة متشبعة بالثقافة المصرية قد يكون توظيف هذا لتخبرنا عن نهاية حظها الجميل بوفاة زوجها مشيرة إليها بوساطة إحاطة السعادة (اللون الأحمر) باللون الأبيض (الكفن) وهذا ما تجسده في قولها:

ملاءة رقيقة بيضاء...

ما أهونها حاجزًا بين الموت والحياة !

وإن لم يعرف الاحياء ما يدانيها كثافة وصلابة، وغلظا وثقلا ..... وهيهات هيهات المزار[3].

البعد النفسي للون الأسود: إن العبارة (بين الحياة والموت) المدونة بالأسود تصور لنا حالة الحزن الذي عاشته الكاتبة جراء فقد زوجها؛ وهذا ما يتوافق والموروث الشّعبي العربي في تعبيره عن الحزن والأسى إذا حلت بهم مصيبة الردى[4]، وهو ما أرادت الكاتبة تخليده بخلود الكتابة من خلال اللون الأسود الذي أشارت من خلاله إلى الانتقال من السعادة إلى الأحزان[5].

تضافر المؤشرات الآنفة الذكر واتحادها أسهم في تقديم صورة مركبة من أبعاد رمزية ودلالات نفسية تحيلنا إلى طبيعة النص والحالة النفسية لكاتبه، وهذا ما تؤكده الدلالة اللّغوية للعنوان من خلال الجدول المدرج أدناه.

الوحدة اللغوية	معناها ودلالتها أو إعرابها
على	الفوقية من نحو قولنا الكتاب على الطاولة

[1] _ ينظر: إسلام فتحي: المرجع نفسه، بتاريخ: 2024/7/3.

[2]_ JENNIFER BOURN (25-2-2011), "Color Meaning: Meaning of The Color Red " The color red in Egypt is a symbol of good luck and happiness, as brides wear red as a kind of marriage ritual" 2024 /7/3

[3] _ بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمان، على الجسر بين الحياة والموت (سيرة ذاتية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002، ص11/10.

[4] _ ينظر: وسام طلال، https://mawdoo3.com/، بتاريخ: 3/7/ 2024.

[5]- The Color Black Black is mysterious and protective "often have a psychological need to wear black during the stage of transition from the innocence of childhood to the sophistication of adulthood. It signifies the ending of one part of their life and the beginning of another, allowing them to hide from the world while they discover their own unique identity" 2024/7/3

الجسر	يحيلنا إلى مكان تواجد الكاتبة؛ كونه مسبوق بحرف الجر على. من معاني كلمة الجسر في المعجمات العربية: "(الجَسْر: (بِالْفَتْح: (الَّذِي يُعْبَرُ عَلَيْهِ) ، كالقَنْطَرَةِ ونحوهَا، (ويُكْسَرُ) لُغَتانِ، ومِنَ المجَازِ: المَوْتُ جَسْرٌ يُوْصِلُ الحَبِيبَ إِلى الحَبِيب"[1]
بين	ظرف منصوب وهو مضاف؛ يوضح الصرَّاع الداخلي لبنت الشاطئ
الحياة	الحياة والموت لفظان يعكسان التناقض والتضاد مضاف إليه مجرور. والواو حرف عطف. الموت معطوف على الحياة مجرور.
و	
الموت	

يفضي تعالق ألفاظ العنوان وتفاعلها من خلال الجدول إلى أنّ الكاتبة وفقت في التعبير عن سيرتها من السبك المحكم للعنوان المفعم بعبارات متضادة تجسد الشتات والصراع النفسي الذي تعيشه الكاتبة؛ فتوظيف صاحبة السيرة لعبارة على الجسر توحي إلى الربط بين المتضادين (الحياة والموت) بوساطة الظرف بين، وهذا ما تؤكده بقولها:

حيث أقف على الجسر بين الحياة والموت[2].

ب. الغلاف: يشكل الغلاف همزة الوصل الرابطة بين القارئ والمتن؛ نظرا لاحتوائه معالم من شأنها تذليل المتن وتمكين القارئ من فهمه، وهذا ما يجعل منه هوية بصرية تؤدي وظيفة إشهاري[3].

[1] _ مرتضي الزبيدي، تاج العروس، https://www.arabicterminology.com/content/%D8%AC%D8%B3%D8%B1-0، بتاريخ 3/7/ 2024.

[2] _ ينظر: السيرة الذاتية، ص11، 12،13

[3] _ ينظر: حنينة طبيش، سيميائية الصورة الغلافية (قراءة في مجموعة من روايات واسيني الأعرج)، مجلة فتوحات، ع3، جوان 2016، ص97.

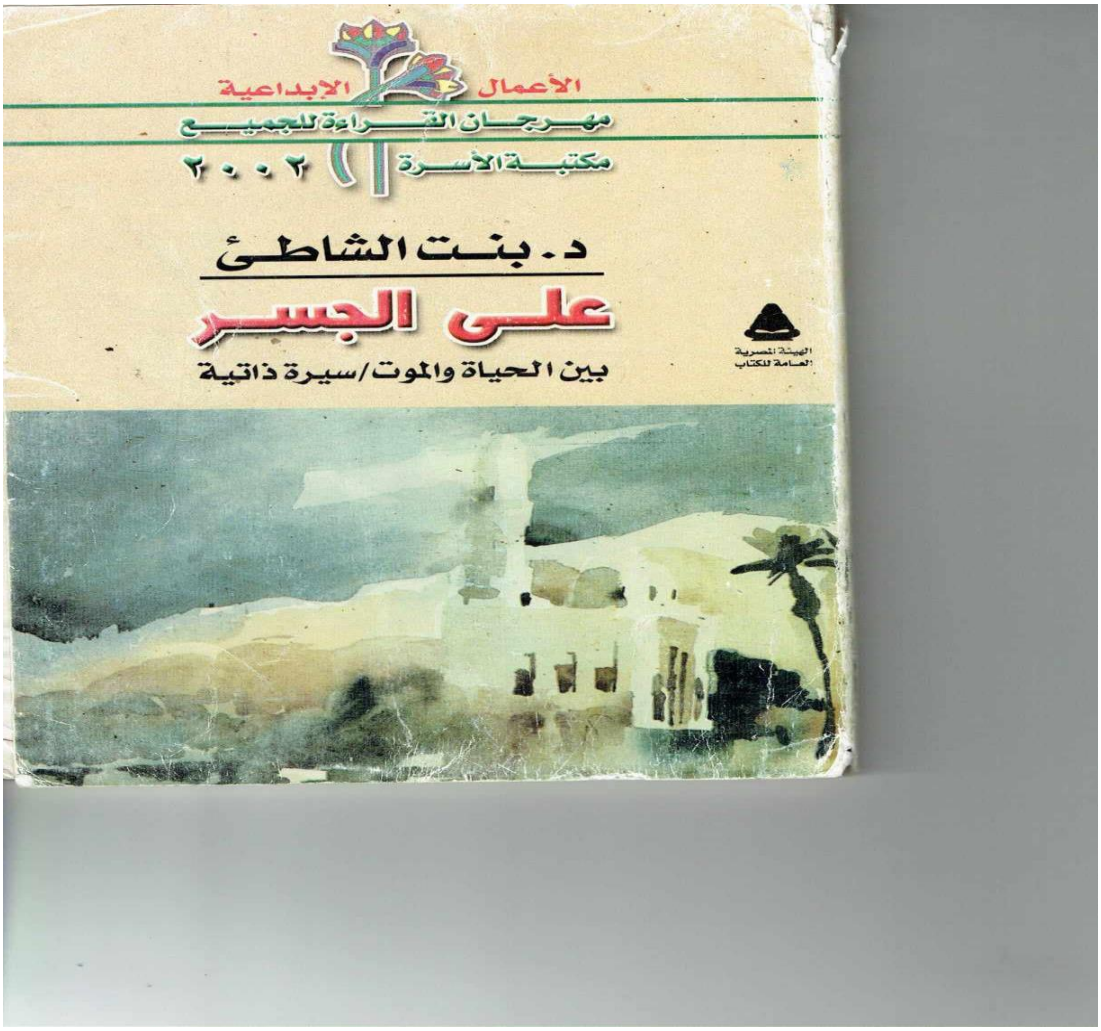

تزخر صورة الغلاف بزخم تشكيلي متنوع يساير التوجهات النفسية والفكرية لصاحبة السيرة الذاتية ومن أهم مكوناته

المسجد: ويشغل مكانة مرموقة في العالم الإسلامي والأوساط الاجتماعية؛ كونه يمثل المرجعية الأولى التي يستند عليها الفرد المسلم في تنظيم شؤون حياته، وطريقة سير علاقته بالأخر، وهو الفضاء المكاني الذي يربط الخلق بخالقهم من خلال فريضة الصلاة، ولعلّ توظيفه بشكل جلي في الغلاف ينفتح على تأويلات أخرى تتعلق بصبا صاحبة السّيرة؛ كونها كرست طفولتها لحفظ كتاب على يد أبيها، وكذلك الشيخ مرسي (... غير أني فوجئت بأبي يصحبني إلى كتاب القرية، حيث أسلمني هناك إلى "سيدنا الشيخ مرسي" ليحفظني القرآن الكريم، وانصرف بعد أن اتفق على أن أنتظم في الكتاب ستة أيام من الأسبوع من مطلع الشمس إلى قرب صلاة العصر)! [1].

[1] _ السيرة الذاتية، ص31.

للون الأبيض الذي يكتسيه المسجد في الصورة بعد ديني؛ حيث إنه ارتبط بالفوز ونيل رضوان الله تعالى مصداقا لقوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [آل عمران: 106-108].

ولعلَّ ظفر الكاتبة حفظ الذكر الحكيم وفوزها به منذ نعومة أظفارها علّق قلبها بحب المسجد؛ وهذا ما يعكسه اللون الأبيض في صورة الغلاف مستندة إلى ما ورد في الذكر الحكيم.

النخلة: إنّ شجرة النخيل لها حضور واسع في الموروث الإسلامي من خلال ذكرها في عديد المواضع من الذكر الحكيم نستحضر منها قوله تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾ [مريم: 23-25] وتوظيفها في غلاف السيرة الذاتية مؤشر لتشبع المؤلفة بالثقافة الإسلامية.

استعارت الكاتبة صورة النخلة الدالة على الشموخ والصمود والثبات؛ لتنقل إلى القارئ جلدها وصبرها على الشدائد، التي مثلتها صورة الكائن الأسود المبهم محاولا اجتثاث النخلة (الكاتبة) من جذورها غير أنها بقيت متمسكة بأصلها (تعاليم الدين الإسلامي؛ الصبر والاحتساب عند الله).

3. الأنا الأنثوية وصراعها مع الآخر الذكوري

تشهد الذات الأنثوية حضورًا مكثفًا من خلال النصوص التي أنتجتها المرأة سعيا منها إلى التعبير عن ذاتها وقضاياها، ويتمحور معظمها حول تشكيل نص ينقل صورة المرأة المهمشة والمقيدة؛ بفعل ممارسات الآخر المضْطَهِد ويكون في الغالب الرجل أو السلطة الأبوية.

3. 1. الأنا المضْطَهَدَة والآخر المُضْطَهِدْ (المرأة والرجل)

تكمن تجليات الأنا المضطَهَدَة في السيرة الذاتية من خلال سرد العديد من الأحداث التي تعكس السلطة الذكورية الظالمة الممارسة على الأنثى؛ ابتداء من تطير الوالد بإنجاب الأنثى كونها مجلبة للعار، واستبشارًا بالغلام نظرا لحمله اسم العائلة "وسمعت فيما سمعت من أخبار الأسرة قبل مولدي أنَّ أبي تمنى عندما حملت أمي جنينها الأول، أن يهبه الله غلامًا زكيا[1]".

[1] _ المصدر السابق، ص27

لا يتوقف اضطهاد المرأة وظلمها حسب الكاتبة عند جنس المولود فحسب؛ بل إنّه يتعداه إلى معاملات أخرى قاسية وعنيفة في حق المرأة بعدم مراعاة مشاعرها أو الاكتراث لما يعكر صفو حياتها، وهذا ما نقلته الكاتبة في سيرتها الذاتية من خلال قولها: "وشعرت بالضيق النفسي تجاه الرحلة، لفرط شغفي بالنهر وتعلقي بالبيت القائم على شطه. وقد تضاعف ذلك الضيق حين لاحظت على أمي انّها تضيق كذلك بتلك الرحلة الموسمية المفروضة عليها"[1].

يتضح لنا في هذه السيرة أن الكاتبة قد ضاقت ذرعًا جراء الاضطهاد المسلط عليها رفقة أمّها؛ وهذا ما يتجلى في عديد المواضع من سيرتها إذ تحاول من خلالها تعرية السلطة المِضْطَهِدَة (الذكورية) وآثارها في نفسية المرأة سواء أتعلق الأمر بالعنف المعنوي اللّفظي أو العنف الجسدي؛ وهو ما يعكسه قول بنت الشاطئ: "وإذا همَّ بأن يضربني .... وصوت جدي يعلو ورائي ساخرًا بما حسبه تعالمِا مني وتفاصحا: هيه دي أخرة عيشتك في الحضر .. مانابك من غربتك إلاَّ عوج ضبتك.."[2].

تعكس المقاطع السيرية التي وظفتها بنت الشاطئ الأزمة الكامنة خلف علاقة المرأة بالرجل؛ سواء أكانت زوجة أم بنتا أم أختا، وتناولها لهذه الأحداث يعد بمثابة عرض للمشكلة القائمة بين الذات الأنثوية والذكورية في الوطن العربي وسعيها الحثيث لرفع وعي المرأة بوصفها حلاًّ لها.

3 . 2 . المرأة والتعليم

أ. الاضطهاد المعرفي للذات الأنثوية (الحرمان من التعليم)

لا يخفى على أحد المجتمعات العربية أسهمت في تقويض فكر المرأة وعزلها بشكل مباشر أو غير مباشر عن التعليم، وقد يتعدى الأمر إلى اعتبار تعلم المرأة مجلبة للعار فيه انتقاص لرجولة الوالد؛ وهذا ما أدّى إلى إنتاج أعمال أدبية نسوية حاولن من طريقها جذب المرأة إلى المركز الاجتماعي واقحامها في الحياة التعليمية، وهذا ما يقودنا إلى استحضار ما ورد في سيرة بنت الشّاطئ "ومضى النهار كله وأنا مطلة على الشّط من النافذة البحرية في بيت جدي لأمي، دون أن ألمح لأترابي أثرًا، وكأنما ابتلعهن الماء أو سحبتهن جن النهر إلى القاع! وسعيت في الأصيل إلى دور الحي، أسأل عن الخبر، ففوجئت بأنَّ الصغيرات قد بدأن الدراسة المنتظمة في (مدرسة اللوزى الاميرية للبنات"![3].

[1] _ بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمان، على الجسر بين الحياة والموت (سيرة ذاتية)، ص28.

[2] _ المصدر نفسه، ص35.

[3] _ المصدر نفسه، ص37.

وتواصل الكاتبة سرد معاناتها جراء حرمانها من التعليم قائلة: "ولاحظ والدي علي أنني لا أكاد ألقي سمعي من دروس، فلما سألني عما بي، تشجعت فصارحته بما يشوقني من الذهاب إلى المدرسة مع بنات الجيرة ... فكأنني نطقت كفرًا"[1].

ب. المستوى المعرفي

لا ريب أنَّ متصفح السيرة الذاتية الموسومة بـــ: على الجسر بين الحياة والموت سيقف على الزخم المعرفي الهائل الذي تتمتع به بنت الشّاطئ؛ نتيجة التراكمات المعرفية المحصلة في صباها بالأخص العلوم الشرعية، وهو ما كان له بالغ الأثر في صقل معارف الكاتبة وشخصيتها المتجلية في مقاطع من سيرتها حيث إنّها تقول: "وأديت الامتحان في أقل من ثلث الوقت المحدد له، فما كادت معلمة الفصل (أبله عزيزة الدمياطي) تلقي نظرة على إجابة تلقي نظرة على إجابتي، حتَّى هتفت دون أن تكتم دهشتها: عجيبة! هذه إجابة غير منتظرة من أي تلميذة .... وإن عجبت فعجبي للمعلمة التي تتصور أني مبتدئة في العلم، فتستغرب مثل هذه الإجابة منِّي"![2].

تروم الكاتبة من خلال سرد وقائع لسيرتها العلمية تغيير الواقع الذي تعيشه ونظرة المجتمع لها؛ وهذا لن يكون متاحًا إلاَّ بنهج سبيل طلب العلم والاجتهاد في ذلك، لفرض ذاتها وكسر القيود التي تكبل حريتها المشروعة؛ وقد بينت ذلك في قولها: "وكان الأساتذة الممتحنون قد ضاقوا بتعثرهن في تلاوة السور القرآنية والنصوص الشّعرية المقررة. فلما جاء دوري وتلوت مجودة ما اختاروا لي من سورتي النساء والنور، سئلت عمَّا أحفظ من النصوص الشِّعرية، فكان جوابي أنْ سألت: من أي عصر؟ وعجب الممتحنون لسؤالي، ثم طلبوا نصًا من العصر الجاهلي؛ فأنشدتهم أبياتًا من معلقة طرفة بن العبد، ومرثية المهلهل بن ربيعة التغلبي في أخيه كليب.... ثم مازالوا ينتقلون بي من عصر إلى عصر وهم في دهشة من حفظي، حتى إذا وصلنا إلى العصر الحديث فاجأتهم بسؤالي: من شعري أو من شعر سواي؟ .[3]

نستشف من القول أنّ الكاتبة شعلة معرفية تتسم بقوة الشخصية والحنكة العلمية، والاستقامة الفكرية؛ وهو ما انعكس في مؤلفاتها المحتكمة إلى البعد الإسلامي والنزعة الصوفية نذكر منها :

- التفسير البياني للقرآن الكريم؛ وهو ما يعكس تمكنها من ناصية اللّغة وضلوعها.
- نساء النبي عليه الصلاة والسّلام.
- السيدة زينب (بطة كربلاء).

[1] _ المصدر نفسه، ص38.

[2] _ سيرة ذاتية، ص40.

[3] _ المصدر نفسه، ص64/63.

تسعى الكاتبة من خلال هذه المؤلفات إلى نمذجة المرأة المسلمة، ورسم الحريات المشروعة لها وتبيان حدودها؛ من خلال تسويق فكر إصلاحي من شأنه تكوين المرأة النموذج القادرة على تجاوز المشكلات الاضطهادية بفعل التعالي الذكوري وحلّها .

3 . 3 . المرأة والدين

إنّ تشرب الكاتبة للثقافة الإسلامية وتشبعها بالمرجعية الدينية؛ أسهم في نفوذها إلى جميع مناحي حياتها، سواء تعلق الأمر بنشأة والديها أو نشأتها؛ وهذا ما يتجلى في قولها: "ويقال إنَّه حين وفد على البلدة، لفت الأنظار بأناقة ملبسه ومرونة تفكيره، وحيوية شخصيته، غير أنَّه ما لبث أنْ تطور تطورا حاسما، متأثرا، فيما أرجح، بالميراث الرُّوحي للبلدة العريقة، تتألق ذكرياته في مساجدها العامرة التي تطيف بالبلدة من أطرافها، مثوى لشيوخ من التابعين المجاهدين، وأولياء الله الصالحين رضي الله عنهم: ففي أقصى الطرف الشرقي على حافة بحيرة المنزلة عند غيط النصارى يقوم ضريح سيدي الشطا التابعي .... ضريح سيدي الجربي .... ضريح سيدي الشيخ المظلوم "[1].

"وعند باب المدينة البحري يقوم جامع الشيخ المدبولي الذي ظل لمدى قرون مدرسة لعلوم الدين، إلى أن أنشئ المعهد الديني في جامع البحر "[2].

ووصفت تزين البلدة بالمساجد في قولها: "وكانت أشعة السنا تفيض من تلك المساجد العامرة والأضرحة المباركة، فتضفي على أفق البلدة العريقة جوًا من الجلال الروحي، هو ما أظنه جذب والدي إلى طريق التصوف؛ فأوغل فيه إلى المدى الذي جعله ضاق بالتعليم العصري في المدرسة الابتدائية، فسعى سعيه حتى نقل منها إلى المعهد الديني في جامع البحر، حيث أخذ مكانه بين شيوخ المعهد المبجلين، في تلك البيئة المحافظة ذات التراث الروحي"[3] .

لم تكتف الكاتبة بوصف البعد الإسلامي الذي يؤطر حياتها ويسيرها فحسب، بل إنَّها ذكرت أنّه معيار تكون أسرتها؛ من خلال قولها: ".. وتزوج أميٍّ، ولعلَّ الذي زكاها لديه دون غيرها من بنات دمياط أنَّها حفيدة الشيخ الدمهوجي الذي كان شيخًا للجامع الأزهر..." [4].

أمَّا عن نقلها لواقع ارتباط حياتها الشخصية بالمرجعية الإسلامية؛ فيتجلى في قولها: "... غير أنّي عندما أويت ليلتها إلى فراشي، رأيتني في المنام جالسة في مقعدي بحجرة الدراسة، وإذا بملاك مجنح يهبط من السماء قرب النافذة المجاورة لمكاني، ويعطيني لفافة

[1] _ السيرة الذاتية، ص26، وينظر: ص27.
[2] _ المصدر نفسه، ص27
[3] _ المصدر نفسه، ص27.
[4] _ المصدر نفسه، ص27.

خضراء ثم يحلق عاليا في السّماء. ولما فتحت اللّفافة، وجدت فيها مصحفًا شريفًا لم تكن عيني قد وقعت من قبل على مثله فخامة وبهاء! وكنت بحكم نشأتي في بيئة بحرية نهرية تموج بالأساطير وتجسم تهاويل الخيال، ثم بحكم بنوتي لشيخ متصوف يعد الرؤيا الصادقة من علامات صفاء البصيرة وإشراق الوجدان"[1].

4. خاتمة

نخلص في ختام بحثنا إلى جملة النتائج المتعلقة بالكتابة النسوية على العموم، والسيرية بالأخص نوجزها فيما يلي:

- ✓ أسهمت النظرة الاجتماعية وممارستها الجائرة في ميلاد جنس أدبي نسوي، تحاول من خلاله المرأة سرد وقائع الاضطهاد الممارس في حقها، وكسر الأغلال العرفية؛ انطلاقا من تجسيده فيما يصطلح عليه بالسيرة الذاتية النسوية.
- ✓ بلغت الكتابة السير ذاتية النسوية نضجًا أدبيًا مكنَّها من تصوير أبعادها الفكرية، وتوجهاتها الدينية، وخباياها السيكولوجية على مستوى عتبات نصية؛ وهذا ما وفقت فيه بنت الشاطئ من خلال سيرتها.
- ✓ أتاحت الكتابات السير ذاتية للمرأة اقتحام عوالم شتَّى، وأكسبتها جرأة معرفية حررتها من قيود الكتابة التخيلية إلى منطق الكتابة الواقعية (سير ذاتية) تخول لها الدفاع عن نفسها، واسترجاع مكانتها المحجوبة بفعل المركزية الذكورية؛ محاولة تقديم المرأة النموذج (القدوة) وهو ما تصبو إليه عائشة عبد الرحمان في مؤلفها (على الجسر بين الحياة والموت).

5. قائمة المراجع المعتمدة:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1. المصادر:

1. بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمان، على الجسر بين الحياة والموت (سيرة ذاتية)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2002

2. المراجع باللغة العربية:

1. ابن منظور، لسان العرب، تح: د م، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، ج4، 2003.
2. إحسان عبّاس، فن السيرة، دار صادر، بيروت لبنان، ط1، 1996.
3. جورج ماي، السيرة الذاتية، تر: عبد الله صولة، محمد القاضي، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2017.
4. الرازي، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط5، 1420/ 1999، ج1.
5. عبد العزيز شرف، أدب السّيرة الذاتية، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، 1992.
6. الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، ط2، 1987
7. فيليب لوجون، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر: عمر حيلي، المركز الثقافي العربي، ط1، 1994.

[1] _ المصدر نفسه، ص43.

8. محمد معتصم، خطاب الذات في الأدب العربي، منشورات دار الأمان للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط المغرب، ط1، 2007.

9. مرتضي الزبيدي، تاج العروس، د ت، د ط،

(https://www.arabicterminology.com/content/%D8%AC%D8%B3%D8%B1-0)

3. المقالات

1. حسين المناصرة، روائية السيرة الذاتية قراءة في نماذج سيرية سعودية، علامات في النقد، السيرة الذاتية في الأدب العربي السعودي، ملتقى قراءة النص الثامن، شعبان 1429/ أغسطس 2008، مج17، ج66

2. حنينة طبيش، سيميائية الصورة الغلافية (قراءة في مجموعة من روايات واسيني الأعرج)، مجلة فتوحات، ع3، جوان 2016.

3. سامية بابا، مكون السيرة الذاتية في الرواية حكايتي شرح يطول لحنان الشيخ، ص96، وحليمة بولحية، تمظهرات السيرة في الرواية الجزائري (طيور في الظهيرة، البزاة لمرزاق بقطاش نموذجا)، مجلة مقاليد، العدد7، ديسمبر 2014.

4. فريال تواتي، حفيظة سوالمية، الأنساق الثقافية في الرواية السير ذاتية (خواطر امرأة لا تعرف العشق) لأسماء معيكل أنموذجا، مجلة إشكالات في اللّغة والآدب، المركز الجامعي تامنغست الجزائر، مج:9، ع5، 2020.

4. المواقع الإلكترونية:

1. Hailey van Braam, Red Color Psychology, Symbolism and, / https://www.colorpsychology.org/red
2. JENNIFER BOURN (25-2-2011 ,(
3. The Color Black Black is mysterious and protective
4. https://www.arabicterminology.com/content/%D8%AC%D8%B3%D8%B1-0

5. وسام طلال، https://mawdoo3.com/

6. تسنيم معابرة، https://mawdoo3.com